140435

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع

موسوعة
أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين

حرف الألف/المجلد الثاني

بترخيص من
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

جميع الحقوق محفوظة لـ

دار الجيل

الطبعة الأولى

1425هـ - 2004م

لا يجوز نشر أي جزء من هذه الموسوعة أو اختزان مادتها بطريقة الاسترجاع أو نقلها على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

تونس: القباضية الأصلية - ص.ب.: 1120
هاتف: 784466 - 0021671
فاكس: 782091 - 0021671
0021671 - 784965
E.mail: Alesco@Email.ati.tn
Website: www.alesco.net

دار الجيل

بيروت: البوشرية - شارع الفردوس - ص.ب.:
8737 (11) - برقياً دار جيلاب
هاتف: 689950 - 689951 - 689952
فاكس: 689953 (009611)
E.mail: daraljil@inco.com.lb.
Website: www.daraljil.com
القاهرة: هاتف: 5865659
فاكس: 5870852 (00202)
تونس: هاتف: 71922644
فاكس: 71923634 (00216)

الإشراف العام

د. المنجي بوسنينة

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

المدير المسؤول

د. محمد صالح الجابري

الهيئة العلمية

د. هشام نشابة
رئيس المجلس التنفيذي
للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

د. أكمل الدين إحسان أوغلي
الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي

د. محمود فهمي حجازي
رئيس جامعة نور - مبارك،
قازاخستان

د. صلاح فضل
جامعة عين شمس
رئيس اللجنة العلمية

د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري
جامعة الملك سعود

د. علي عقلة عرسان
الأمين العام
للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب

د. إبراهيم بن مراد
جامعة تونس

د. محمد علي آذرشب
جامعة طهران

د. محمد أسلم إصلاحي
رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية
جامعة جواهر لال نهرو - نيو دلهي، الهند

المجلد الثاني
الإشبيلي - أيوب

الإشبيلي، أبو عمر أحمد بن محمد بن حجاج

(القرن 5 هـ / 11 م)

أبو عمر أحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي أحد مشاهير علماء الفلاحة بالأندلس ممن كان له شأن في إعادة ربط علوم الفلاحة والنبات والبيطرة في الغرب الإسلامي بالحكمة والفلسفة وعلوم الأوائل، على إثر ما تعرضت له هذه الأصول من اجتثاث في سياق الضربة العامريّة. وعلى غرار غيره من حكماء أهل الفلاحة، تكاد تصمت كتب التراجم والطبقات عن ذكر تفاصيل حياته. والملاحظ أنّ الترجمة الفريدة التي خصها ابن بسام لهذا العلم قد سقطت من متن كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، وهي الترجمة الأصل التي اقتطف منها ابن سعيد بعض النتف أثبتها في كتابه «المغرب في حلى المغرب».

وينتمي ابن حجاج إلى إحدى أعرق البيوتات الإشبيليّة المتأصلة في عرب لخم من اليمانية الذين استقرّوا منذ وقت مبكر بسند بني حجاج المنسوب إليهم على بعد خمسة عشر ميلا من الحاضرة. كما ينتسبون من جهة الأم إلى سارة القوطية التي ورثت عن أبيها ألمند بن غيطشة آخر ملوك القوط الضياع الواسعة بغرب الأندلس. وقد نال بنو حجاج الرياسة والجاه والثروة بإشبيلية وقرمونة وبمجمل غرب البلاد على مدار تاريخ الأندلس. وتجمع المصادر التي تناولت بالذكر ابن حجاج على وصفه بالوزير الخطيب الأديب، وكذا بالشيخ الفقيه الإمام. وليس أدلّ على شمول مداركه لعلوم زمانه الفقهيّة والأدبيّة والحكميّة من إقرار معاصريه من أهل القلم «بكونه بحر علوم، وسابق منثور ومنظوم».

إلاّ أنّ علم الفلاحة كان الغالب على اهتماماته بعدما أصبحت له سوق نافقة بإشبيلية العبادية، خلال القرن الخامس الهجري. ويرجع الفضل في ذلك إلى جملة من الحكماء الذين استجمعوا قواهم على إثر النكسة العامريّة فتجردوا لإقراء الحكمة والفلسفة وعلوم الطبيعة بحاضرة إشبيلية. نخص منهم بالذكر الشيخ الحكيم أبا الحسن شهاب بن محمد المعيطي الذي شكل مع ابن حجاج ومعاصره أبي الخير الإشبيلي، أقطاب علماء الفلاحة والنبات الذين تألقوا بإشبيلية الطائفيّة. وسرعان ما التحق بحاضرة بني عباد كل من محمد بن إبراهيم بن بصال وعلي بن اللونقة لائذين من طليُطلة على إثر سقوطها في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة خلال سنة (478هـ / 1085م). كما التحق بإشبيلية محمد بن مالك الطغنري حيث تلقّى أصول علم الفلاحة (474هـ / 1081م) مع أقرانه من طلاب الحكمة وعلوم الطبيعة على يد أبي الحسن شهاب بن محمد المعيطي

الإشبيلي. هكذا تألقت شخصية ابن حجاج العلميّة في ظلال هذه المدرسة الفلاحيّة الإشبيليّة الموصولة الروابط بطليطلة الدنونية والممتدّة الجسور نحو غرناطة الزيريّة.

ومن أبرز مصنّفات ابن حجاج كتاب «المقنع في الفلاحة» الذي وضعه بإشبيلية سنة (466هـ / 1073م). ويتضمن هذا الكتاب خلاصة آراء الحكماء القدامى وعصارة تجارب علماء الفلاحة السابقين، فضلا عن إسهامات علماء مشرق دار الإسلام خلال القرون الهجريّة الأولى. وتقدر مجمل المصادر التي اعتمد عليها ابن حجاج في وضع كتابه بثلاثين علما من أشهر حكماء الإغريق وعلماء الهند والروم وغيرهم من المختصين في الفلاحة والنبات وعلوم الطبيعة، على مدار العصور الخالية إلى زمن المؤلف. لم يقتصر دور ابن حجاج على استقصاء المعارف الفلاحيّة الموروثة عن الأمم والحضارات القديمة وجعلها في متناول عامة الفلاحين بالأندلس، بل اندرج على إخضاع خلاصتها لمحك التجربة. وهو ما باشر تدبيره بإقليم الشرف المطل على الحاضرة وبغيره من حقول التجارب الفلاحيّة بالمملكة العباديّة. ولا غرو، فقد اشتهر بنو حجاج بكثرة ما توارثوه من مستغلات واكتسبوه من ضياع بمجمل غرب الأندلس.

وبجمعه بين العمل والنظر وربطه الحكمة بالتجريب، اتضحت مكانة ابن حجاج المتميّزة في سياق تاريخ علم الفلاحة والنبات والبيطرة بالأندلس؛ إذ يحتل موقعا وسطا بين «أصحاب التقليد من أهل الفلاحة» الأندلسيين الذين اقتصروا على بعث المعارف القديمة وإثبات آراء الحكماء الأوائل، وبين المتأخرين ممن آثر المنهج التجريبي. ومن المعلوم أنّ الشروع في فصل العلوم التجريبيّة عن أبعادها الفلسفيّة في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ابتداء من منتصف القرن الخامس الهجري، قد أسفر عن الميل جملة نحو إيثار الأعمال التطبيقيّة والجوانب التقنيّة. وهو ما يتضح من قول محمد بن مالك الطغنري بأننا لم نثبت في فلاحتنا إلاّ «بمقدار ما انتهت إليه طاقتنا وبلغ تجريبنا». وبالمثل، لم يتردد ابن العوام عن الإقرار: إنّني «لا أثبت شيئا من رأي إلاّ ما جربته مرارا فصح».

وبصرف النظر عما يتضمنه كتاب «المقنع في الفلاحة» من معلومات بيطريّة، فقد عمد ابن حجاج إلى إفراد كتاب متخصص في هذا الحقل، يجمع أيضا بين الحكمة والتجريب. وهو ما كشف عنه بالقول في سياق تناوله لتربية المواشي: «وقد ذكرت ذلك في كتابي في البيطرة وتقصيته في جميع الحيوان على ما وجدت الفلاسفة متفقين فيه، ولم آل إليه الاجتهاد، ولا معنى لإعادة معنى واحد في كتابين». إلاّ أنّ كتاب ابن حجاج في البيطرة ما زال إلى اليوم في حكم المفقود.

وبقدر ما استفاد ابن حجاج الإشبيلي من آراء علماء الفلاحة السابقين ممن يندرج ضمن أهل النظر، بقدر ما أثر في توجيه اللاحقين من أهل التجربة والتدريب. يتضح ذلك من خلال دأب المتأخرين من أهل الفلاحة الأندلسيين على الأخذ عنه. ويقدم أبو زكريا يحيى بن العوام الإشبيلي أبرز مثال بهذا الخصوص، إذ عمد إلى تضمين مجمل فصول كتاب «المقنع في الفلاحة» في متن كتابه

المصنف في نفس الموضوع بحاضرة إشبيلية قبل سقوطها في يد القشتاليين.

آثاره

1 - المقنع في الفلاحة: حققه صلاح جرار وجاسر أبو صفية وصدر تحت إشراق عبد العزيز الدوري ضمن منشورات مجمع اللغة العربيّة الأردني سنة 1982. وهو الكتاب الذي أعيد ضبط متنه مع ترجمته للغة الإسبانيّة من طرف المستعربة خوليا مرية كاراباصا وطبع على الميكروفيلم ضمن منشورات جامعة غرناطة سنة 1988.

ويوجد النص الأصلي لكتاب المقنع في شكل شذرات متداخلة مع نصوص فلاحيّة مختلفة ضمن جملة من المجاميع المخطوطة، نذكر منها الشذرات التالية: أ - مخطوط المكتبة العامّة بالرباط رقم د 1410، [أوراق 194، 216]؛ ب - مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم ج 617، [صفحات 478، 510]؛ جـ - مخطوط المكتبة الحسنية بالرباط رقم 69 [صفحات 74، 103]؛ د - مخطوط المكتبة الحسنية بالرباط رقم 6342 [صفحات 40، 58]؛ هـ - مخطوط المكتبة العامة بتطوان رقم 889/ 13 [صفحات 78، 81]؛ و - مخطوط المكتبة الوطنيّة بباريس رقم 5013 [أوراق 47، 71]. 2 - كتاب في البيطرة: أشار إليه كما تقدم في كتاب المقنع. 3 - القصد والبيان: ذكره ابن العوام، ويشبه اسم هذا الكتاب عنوانا لكتاب لابن وافد [الفلاحة، 1، نقلا عن مقدمة محقق كتاب المقنع].

المصادر والمراجع

- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح. إحسان عباس، تونس/ ليبيا، 1981، I م1، ص 25
- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تح. شوقي ضيف، القاهرة، 1978، ج 1، ص 256
- ابن العوام، كتاب الفلاحة، خوصي أنطونيو بانكيري، مدريد 1802، ج1، ص 8
- أحمد الطاهري، الطب والفلاحة بين الحكمة والتجريب، البيضاء، 1997، ص 83، 103.
- Julia Maria Carabaza, «La Familia de los Banü Hayay (siglos II-VII/VII-XIII)» Estudios Onomasti-co-Biograficos de as-Andalus. V, Madrid, 1992, pp.39-55.

د. أحمد الطاهري

جامعة الحسن الثاني المحمّدية - المغرب